اندلاع حريق في غابة

ليث الصندوق

القطاراتُ محمّلةٌ بالصدأ
والليالي تُساقطُ أنجمَها في السِلال
اصبري، فالحرائقُ تمحو من الأفقِ آثارَنا
فإذا ما قضينا اختناقاً
فأيةُ ريحٍ ستحملُ أرواحَنا للسماء؟
ستبقى على الأرض
تسحقُها تحتَ أظلافها البُهُمُ الفزعه.
أناديكِ
لكنَّ صوتي تبدِّدُهُ خَشخَشاتُ السلاسل
ورأسي دخانُ الحرائقِ يَنفخُهُ كفقاعه
وهمهمةُ الجُندِ حولي
وهم يحملونَ توابيتَهم في هياكل أسلحةٍ ودروع
يسيرونَ للنصرِ في ذلّةٍ
أنفاسُهُم عاصفاتُ غبار
وأقصى طِماحٍ بأن يُوهَبوا العمرَ أسرى
نشيدٌ حزينٌ
وفي الأعين الراكضاتِ وراءَ القطار
تخالطَ دمعٌ بدم

***

أَمِنْ أجْلِ الاّ نُزاحِمَ في الرِزْقِ كلبَ المطاعمِ
حُرمنا من النومِ تحتَ المطر؟
وازدحمتْ في السماءِ رؤوسُ الصواريخ
كي لا تُدنِّسَ أقدامُنا الطرقات..
الرصاصُ الذي طاشَ في الفجر
عادَ بأرواحنا في السلاسل
فليس لنا مهربٌ بعد أن شرَّدَتْ في دخان الحريق الجياد
وليسَ لميتتنا من كفن.

***

أَفي كل يوم نبيعُ منازلَنا للغريبِ؟
ونقعي بأظلال أسوارِها اتّقاءَ الهَجير
وندفنُ أعمارَنا في تراب الملاجئ
خوفاً من الرُجُمِ الساقطات؟
بلادي
تخيّرتِ ثوبي الخليقَ لحربكِ رايةً
فأيُّ جلالٍ لثوبٍ خليقٍ؟
تُنادينَ موتى
فلا حملتْ راحةٌ لكِ جُرعةَ ماءٍ
ولا أنقذَ الهاربونَ البقية
وقتلى حروبُكِ يستصرِخونَ رجالَ الكمارك
ألا يسدّوا الحدود
ولو فُتحتْ
سوفَ يهربُ حتى الهواء
ومثلَ بساطِ الريحِ تطيرُ السهول
كانتْ تعيشُ الجبالُ مع الناسِ داخلَ بيت
ولكنها اليومَ تبحثُ فوقَ خرائطِ غُربتِها عن جذور
أَصرخُ بالعشبِ حدَّ التوسلِ: إبقَ هنا للربيع
وأيّتها الطيرُ
فلترجئي هجرةَ الصيفِ للسنةِ المقبلة
ويا دمعَ أحبابنا في المهاجر
اغسلْ سُخامَ الحرائقِ عن أوجهِ الماكثين.
لم يبقَ من وطني غيرُ ميتٍ بدون كفن
اصبُعُهُ يبستْ
وهي تومئُ نحوَ الحدود.

بغداد